الخارجية الى « عوامل داخلية صرفة» ٠

احسب هنا انه من الواضح ان الفروق الدقيقة التي تكشف عنها معالجة سنتش لنظريات الاتجاه السادس ، والقائمة بينها من جهة وبين نظريته من جهة اخرى ، ذات اهمية قصوى الى الدرجة التي يصبح معها مشروعا له ان يدعي تميزه النوعي عن تلك النظريات ، على الرغم من ذلك التشابه الطافي على سطح كل منهما ٠

على اساس هذا التصنيف ، وعبر ستة فصول تألف منها الجزء الاول ، يعمل سنتش على عرض وتفنيد اطروحات اهم رموز تلك الاتجاهات ، مبينا مدى هشاشة الارضية التي تقف عليها ، وموضحا اوجه عجزها وقصورها عن تغطية الوقائع المعاشة بتفسير كاف ، وفاضحا الدوافع الايديولوجية التي تنبعث منها معظم تلك النظريات ٠

لقد اشرنا في بداية هذه المراجعة الى التميز الذي يتم به مؤلف توماس سنتش ٠ **لقد عودنا « الاتجاه الدوغمائي »** الذي طفح على جلد الماركسية حينا من الدهر ، على نمط من التعامل مع « النظريات الغربية » يقوم على تجاهلها المطلق ، او ـ وهذا في احسن الاحوال ـ رفض جميع النتائج التي تتوصل اليها ، مرتكزا في ذلك الى ادانته الايديولوجية المسبقة لتلك النظريات ٠ وكردة فعل على تلك الحالة ، شهدت الماركسية ـ خصوصا في الآونة الاخيرة ـ نزعات تقوم على الترفع عن نقد النظريات الغربية ـ غير الماركسية ـ من الوجهة الايديولوجية ، وابداء حالة تقزز مفتعل ازاء اي اجراء من هذا النوع ٠ ولا اظنني هنا بحاجة الى التأكيد على ان خطورة الموقف الدوغمائي الذي عمل على « تحصين » نفسه من « خطر » النظريات الغربية ، لا تعادلها سوى الخطورة الناجمة عن ذلك « التطاوس » المضحك الذي بدأت تفوح روائحه في بعض الاوساط ٠ ومن هنا فان نقد سنتش لـ « نظريات التخلف » يكتسب اهميته المتميزة من خلال التيقظ الذي ابداه المؤلف ، كمسألة مبدئية ، ازاء خطر السقوط في احد المطبين المذكورين ٠ ان النظريات المنتقدة هنا ، ينظر اليها على انها في الوقت الذي تخدم فيه ، بشكل او بآخر ، مصالح الامبريالية ، فانها ليست محض هلوسة تفتقر الى اي اساس واقعي ، بناء عليه فان النقد الايديولوجي لتلك النظريات لا يعود يشكل مانعا امامنا من الاستفادة ـ بصورة ما ـ من بعض النتائج التي توصلت اليها ، على الرغم من ادراكنا لوجه القصور والعجز الذي تتسم به تلك النتائج ٠

وبكلمة مقتضبة نقول ان بعض ما طرحته تلك النظريات هو في الحقيقة ـ وهذا وجه الفائدة فيه ـ وصف هام للواقع الذي تعيشه البلدان المتخلفة ، وتسليط للضوء على جوانب هامة من ذلك الواقع ، لكن قصور تلك الاطروحات يتجلى حين يراد تقديمها كتفسير تحليلي وسببي لظاهرة التخلف ٠

وعلى هذا النحو فان سنتش ـ على عكس ما قد يقول البعض ـ يكون قد وضع قدما راسخة على طريق تحقيق بحث علمي جاد حين يدرك درجة اقترابه من « بعض النتائج الجزئية التي توصلت اليها النظريات التي انتقدها من قبل » ، وحين يعمل وفق ما يفرضه ادراك الحقيقة من هذا النوع ٠

قوانين التخلف وآليته الداخلية

في الجزء الثاني من الكتاب والذي يحمل عنوان « قوانين التخلف وآليته الداخلية » يقدم سنتش « مسحا تاريخيا تحليليا لاسباب التخلف وخصائصه الداخلية ، واشكال علاقات التبعية